فَاسْتَحْسَنَتْ جَلِيلَةُ عَمَلَ ٱلْمَسِيحِ جِدًّا وَقَالَتْ «مَاشَاءَ ٱللهُ. جَمِيلٌ وَجَمِيلٌ جِدًّا تَفْتِيحُ عَيْنَيِ الشَّحَّاذِ»

فَأَجَابَتْهَا فَاطِمَةُ «صَحِيحٌ وَلَكِنْ لَيْتَكِ تَأْتِينَ مَعِي لِتَسْمَعِي حِكَايَاتٍ أُخْرَى فِي مَدْرَسَتِنَا»

وَبَعْدَ أُسْبُوعٍ بَيْنَمَا كَانَتْ فَاطِمَةُ مَاشِيَةً بِسُرْعَةٍ فِي ٱلشَّارِعِ لِأَنَّهَا كَانَتْ مُتَأَخِّرَةً قَابَلَتْهَا صَدِيقَتُهَا جَلِيلَةُ وَهِيَ لَابِسَةٌ فُسْطَانَهَا ٱلْجَدِيدَ ٱلْبُنِّيَّ وَحِذَاءَهَا

الْجَدِيدَ أَيضاً. فَقَالَتْ لَهَا «أَنَا ذَاهِبَةٌ
مَعَكِ إِلَى الْمَدْرَسَةِ لِأَسْمَعَ الْحِكَايَاتِ
الَّتِي أَخْبَرْتِنِي عَنْهَا»

فَدَخَلَتْ جَلِيلَةٌ إِلَى الْمَدْرَسَةِ وَهِيَ
كَالْفَرْخَةِ الْغَرِيبَةِ وَتَحَيَّرَتْ مَاذَا تَعْمَلُ
هَلْ تَجْلِسُ فِي أَيِّ مَكَانٍ يُصَادِفُهَا أَوْ
تَطُوفُ فِي الْحُجْرَةِ تَتَفَرَّجُ عَلَى الصُّوَرِ
الَّتِي فِيهَا؟ وَبَيْنَمَا هِيَ وَاقِفَةٌ مُتَحَيِّرَةٌ
قَابَلَتْهَا الْمُعَلِّمَةُ بِلُطْفٍ فَأَجْلَسَتْهَا فِي
مَوْضِعٍ. وَأَخْرَجَتْ جَلِيلَةٌ مِنْ جَيْبِهَا

بُرْتُقَالَةً وَأَخَذَتْ تَأْكُلُهَا. فَقَالَتْ لَهَا
الْمُعَلِّمَةُ

«لَيْسَ هَذَا وَقْتَ الْأَكْلِ يَا جَلِيلَةُ.
يُمْكِنُكِ أَنْ تَأْكُلِيهَا وَقْتَ الْفُسْحَةِ لَكِنْ
فِي هَذَا الْوَقْتِ يَلْزَمُ أَنْ تَقْعُدِي سَاكِتَةً
وَتَسْمَعِي الدَّرْسَ وَتَتَعَلَّمِي»

وَلَمَّا جَاءَ وَقْتُ دَرْسِ التَّوْرَاةِ خَرَجَتِ
الْمُعَلِّمَةُ الْأُولَى وَدَخَلَتْ مُعَلِّمَةٌ أُخْرَى
وَهِيَ ذَاتُ الْمُعَلِّمَةِ الَّتِي كَانَتْ قَدْ
سَمِعَتْهَا جَلِيلَةٌ تَقُولُ قَبْلاً «وَزَنَتْ
بِالْمَوَازِينِ فَوُجِدَتْ نَاقِصاً» فَغَضِبَتْ

جَلِيلَةٌ وَنَدِمَتْ لِأَنَّهَا جَاءَتْ لِتَسْمَعَ مَا
كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَنْسَاهُ. إِلَّا أَنَّهَا قَالَتْ «رُبَّمَا
إِذَا أَصْغَيْتُ أَعْرِفُ مَاذَا أَعْمَلُ حَتَّى
أَصِيرَ بِنْتاً طَيِّبَةً وَلَا أَخَافُ مِنْ يَوْمِ
الْحِسَابِ». أَمَّا الْحِكَايَةُ الَّتِي سَمِعَتْهَا
فَكَانَتْ هٰكَذَا:—

حكاية الخروف التائه

كَانَ لِرَجُلٍ مِائَةُ خَرُوفٍ يَرْعَاهَا فِي
النَّهَارِ. وَفِي الْمَسَاءِ يَأْتِي بِهَا إِلَى الزَّرِيبَةِ.
وَكَانَ لَهُ عَادَةٌ أَنْ يَعُدَّهَا كُلَّ لَيْلَةٍ وَهِيَ

دَاخِلَةٌ إِلَى الزَّرِيبَةِ. وَفِي ذَاتِ لَيْلَةٍ
لَمَّا عَدَّهَا وَجَدَهَا ٩٩ خَرُوفاً أَيْ نَاقِصَةً
وَاحِداً. فَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَدْخُلَ بَيْتَهُ
وَيَنَامَ وَيَرْتَاحَ بَعْدَمَا تَعِبَ طُولَ النَّهَارِ.
بَلْ ذَهَبَ بَيْنَ الْجِبَالِ وَفَوْقَ التِّلَالِ
يَطْلُبُهُ. وَبَقِيَ يَطْلَعُ جَبَلاً وَيَنْزِلُ فِي
وَادٍ وَالْحِجَارَةُ تَجْرَحُ جِسْمَهُ وَالشَّوْكُ
يُؤْلِمُهُ وَهُوَ غَيْرُ سَائِلٍ حَتَّى وَجَدَ
الْخَرُوفَ الضَّائِعَ. فَأَخَذَهُ عَلَى كَتِفِهِ
وَفَرِحَ بِهِ فَرَحاً عَظِيماً جِدًّا. وَلَمَّا

رَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ دَعَا جِيرَانَهُ وَأَقَارِبَهُ قَائِلاً
«تَعَالُوا ٱفْرَحُوا مَعِي لِأَنِّي وَجَدْتُ
خَرُوفِي ٱلضَّائِعَ»
«قَالَتِ ٱلْمُعَلِّمَةُ: يَا بَنَاتُ. هٰذِهِ ٱلْحِكَايَةُ
تُرِينَا أَنَّ ٱللهَ كَالرَّاعِي يُحِبُّ خِرَافَهُ
وَنَحْنُ تَائِهُونَ مِثْلُ ٱلْخَرُوفِ فِي ٱلْبَرِّيَّةِ.
وَهُوَ يُفَتِّشُ عَلَيْنَا حَتَّى يُخَلِّصَنَا»
فَفَرِحَتْ جَلِيلَةُ بِهٰذَا ٱلْخَبَرِ ٱلْجَدِيدِ
وَقَالَتْ: «بَرَكَة». ٱللهُ يُحِبُّنَا وَلَا يُرِيدُ
أَنْ نَتَعَذَّبَ

الفصل الثالث

كيف انفتحت عينا جليلة

وَلَمَّا رَجَعَتْ جَلِيلَةُ إِلَى ٱلْبَيْتِ فِي
ٱلْمَسَاءِ قَصَّتْ عَلَى أُمِّهَا وَأُخْتِهَا ٱلْكُبْرَى
كُلَّ مَا سَمِعَتْهُ وَرَأَتْهُ فِي ٱلْمَدْرَسَةِ.
وَلَا سِيَّمَا دَرْسَ ٱلْكِتَابِ ٱلْمُقَدَّسِ
ٱلَّذِي شَغَلَ عَقْلَهَا. فَقَالَتْ
«ٱلْمُعَلِّمَةُ أَخْبَرَتْنَا بِخَبَرٍ غَرِيبٍ هُوَ:
إِنَّ ٱللهَ يُحِبُّنَا وَيُرِيدُ مِنَّا أَنْ نَأْتِيَ إِلَيْهِ»
فَأَجَابَتْهَا أُخْتُهَا «هٰذَا كَلَامٌ فَارِغٌ.

مالك وللديانة؟ أنت رحت إلى المدرسة
لأجل أن تتعلمي الخياطة وأشياء
أخرى تنفعك. اتركي الديانة للرجال»

لكن قالت لها أمها «احكي لي يا جليلة
ما سمعته. يظهر أن الحكاية حلوة»

فقصت جليلة على أمها حكاية
الخروف الضائع بقدر إمكانها. وسمعتها
أمها بغاية الانبساط. والذي سرها
خصوصاً هو إن الله يحب النساء
والبنات ويهتم بهن كالرجال

وراحت جليلة صباحاً إلى المدرسة
مصممة أن يكون سلوكها جيداً طول
النهار. وعلى ذلك لم تزل ساكتة في
وقت الدرس ولم تنطق بكلمة واحدة
للبنات الجالسات بجانبها. ومع أن جيبها
كان ملآناً من الفول السوداني لم
تطلع واحدة لتأكلها. كما إنها أيضاً في
فناء (حوش) المدرسة وقت اللعب
كانت تلاطف الصغيرات وتساعدهن
في ألعابهن بكل شفقة وحنان

وَبَعْدَ أَيَّامٍ صَارَتْ تَعْرِفُ أَنْ تَقْرَأَ
(أَلِفْ بَاء) فَأَعْطَتْهَا الْمُعَلِّمَةُ كِتَابَ الْمُطَالَعَةِ
الْأَوَّلَ بَدَلاً مِنْ أَنْ تُذَاكِرَ مِنَ اللَّوْحِ
وَالْخَرِيطَةِ

وَكَانَتْ أُمُّ جَلِيلَةٍ تَبْعَثُهَا إِلَى السُّوقِ
لِتَشْتَرِيَ بَعْضَ لَوَازِمِ الْبَيْتِ مِثْلَ
الصَّابُونِ وَالْفُولِ وَالْمُخَلَّلِ وَكَثِيراً مَا
كَانَتْ تَذُوقُ مَا تُحِبُّهُ فِي الطَّرِيقِ.
وَأَرْسَلَتْهَا أُمُّهَا ذَاتَ يَوْمٍ لِتَشْتَرِيَ
مُدَمَّساً. وَقَالَتْ لَهَا «أَسْرِعِي فِي الْحُضُورِ

حتى لا تتأخري عن المدرسة»

فخرجت جليلة والفلوس في يدها.

وبينما كانت تشتري المدمس رأت
حلاوة سمسمية فاشتاقت أن تشتري
قليلا. ولما لم يكن معها ولا نصف
قرش زيادة عن ثمن المدمس رجعت
المدمس إلى البائع قائلة

«اعمل معروفا وأعطني من هذه
الحلاوة بنصف قرش ومدمسا بباقي
الفلوس»

فعمل حسب طلبها. ولما كانت
جليلة راجعة إلى البيت سمعت في
داخلها صوتا يناديها «أنت يا جليلة
سرقت فلوس أمك. لماذا سرقت؟
يا خسارة! وكنت ناوية أن تعملي ما
يفرح قلب الراعي الصالح الحنون
الذي يحبك؟»

كلما تقدمت في الطريق عذبها
صوت ضميرها. فأخيرا رجعت للبقال
وهي تبكي قائلة «من فضلك يا سيدي

أَنَا غلطتُ في أَخْذ فلوسِ أُمّي للحلاوة.
اعمَلْ معروفاً خُذْ مِنّي ٱلْحلاوةَ وأَعطِني
بِٱلْفُلوسِ كُلِّها مُدَمَّساً»

فمع أَنَّه ضحك عليها أَجاب ٱلْبائعُ
طلبها فعادت إلى ٱلْبيتِ إلاَّ أَنَّها رجعت
متأَخّرةً وكانت والدتُها متكدّرةً منها
فضربتها وأَمرتها أَن تلبس فوطتها بكُلّ
سُرعةٍ لتذهبَ إِلى ٱلْمدرسة. وإِذْ
كانت قد تأَخّرت أَيضاً عن ٱلْمدرسة
أَخذت علامةً رديّةً فكان كُلُّ شيءٍ

معاكساً لها في ذلك ٱلْيومِ ٱلْمشؤوم
فظنّت جليلةُ ٱلْمسكينة أَنَّها لو لم
تجتهد كي تكون حسنةَ ٱلسُّلوك
وأَرجعت ٱلْحلاوةَ ما كانت والدتُها
عاقبتها للتأَخُّر. ثُمَّ عادت وتذكّرت
أَنَّها أَذنبت إِذ سرقت ولأَجل ذلك
كانت مُستحقّةً ٱلْعقاب ٱلّذي أَصابها
ولمّا كانت هذه ٱلْأَفكار تتردّدُ في
عقلها لم تلتفت إِلى ٱلدَّرس. ولكن
بعد قليلٍ سمعت ٱلْمعلّمة تعلّم ٱلْبنات

هذه الآية

«المسيح يسوع جاء إلى العالم

ليخلص الخطاة»

وهذا الخبر سرّ جليلة وسمعت

المعلمة تقول: «الخطاة». يا بنات. كلّ

واحد في الدنيا خاطئ ويسوع مات

كي يجعل الناس يكرهون الخطية

ويتغلبون عليها. وهو يغفر الخطايا

الماضية ويغيّر قلوبنا ويجدّدها. وهو

مستعدّ أن يغيّر قلب كلّ واحدة منّا.

أنتِ يا زينب وأنتِ يا عائشة وأنتِ

أيضاً يا جليلة»

فاندهشت جليلة من هذا الخبر

الجديد المفرح. وخافت من تصديقه

إلّا بعد أن تستفهم من المعلمة كيف

يكون ذلك

وقبلما تتمكّن جليلة من فرصة

لتستعلم عمّا سبق سمعت المعلمة

تقول «إنّ المسيح جال يعلّم الناس

ويشفي العمي والعرج والبرص إلّا أنّ

النَّاسَ الأَشْرَارَ غَضِبُوا عَلَيْهِ وَأَرَادُوا
أَنْ يَقْتُلُوهُ. لأَنَّهُ كَانَ مُحِبَّ الصَّلاحِ وَهُمْ
أَحَبُّوا الْخَطِيَّةَ. فَأَتَوا بِشَهَادَاتٍ بَاطِلَةٍ
ضِدَّهُ. وَأَخَذُوهُ إِلَى الْقَاضِي لِلْمُحَاكَمَةِ.
أَمَّا الْقَاضِي فَبَعْدَ مَا سَأَلَهُ جُمْلَةَ أَسْئِلَةٍ
لَمْ يَجِدْ فِيهِ عِلَّةً تَسْتَحِقُّ الْمَوْتَ.
وَأَحَبَّ أَنْ يَصْرِفَهُ بِدُونِ عِقَابٍ. إِلاَّ
أَنَّ الشَّعْبَ صَارُوا يَصْرُخُونَ بِأَعْلَى
أَصْوَاتِهِمْ «اصْلِبْهُ. اصْلِبْهُ»
وَلَمَّا رَأَى الْقَاضِي أَنَّ النَّاسَ هَائِجُونَ

وَيَطْلُبُونَ صَلْبَ الْمَسِيحِ أَلْقَى الْقَبْضَ
عَلَيْهِ خَوْفاً مِنْهُمْ وَكَانَ الْمَسِيحُ يَقْدِرُ
أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنْ هَذَا الصَّلْبِ بِقُوَّتِهِ
الإِلَهِيَّةِ. إِلاَّ أَنَّهُ كَانَ قَدْ أَحَبَّ النَّاسَ
وَأَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَهُمْ مِنَ الْخَطِيَّةِ وَالْعِقَابِ.
فَسَلَّمَ نَفْسَهُ لِلْمَوْتِ الَّذِي هُوَ أُجْرَةُ
الْخَطِيَّةِ فَأَخَذُوهُ وَصَلَبُوهُ إِذْ وَضَعُوهُ
عَلَى خَشَبَةٍ كَأَنَّهُ مُجْرِمٌ وَبَعْدَ الصَّلْبِ
بِمُدَّةِ سَاعَاتٍ أَسْلَمَ الرُّوحَ وَمَاتَ وَقُبِرَ
ثُمَّ قَامَ مِنَ الْمَوْتِ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ

وَأَظْهَرَ نَفْسَهُ لِكَثِيرِينَ وَبِقِيَامَتِهِ أَظْهَرَ
قُوَّتَهُ ٱلْإِلَهِيَّةَ وَأَنَّهُ قَادِرٌ أَنْ يُعْطِيَ حَيَاةً
وَغَلَبَةً لِلَّذِينَ يَطْلُبُونَ ذَلِكَ

وَبَعْدَ ٱنْصِرَافِ ٱلْمَدْرَسَةِ ذَهَبَتْ
جَلِيلَةُ إِلَى ٱلْمُعَلِّمَةِ وَٱسْتَفْهَمَتْ إِذَا
كَانَ ٱلْمَسِيحُ قَدْ مَاتَ عَنْهَا هِيَ أَيْضاً
فَشَرَحَتْ لَهَا ٱلْمُعَلِّمَةُ ٱلْحِكَايَةَ وَصَلَّتْ
مَعَهَا وَقَالَتْ لَهَا إِنَّ يَسُوعَ دَائِماً
مُسْتَعِدٌّ أَنْ يُسَاعِدَهَا حَتَّى تَغْلِبَ
عَلَى ٱلْخَطِيَّةِ. وَلَمَّا عَادَتْ جَلِيلَةُ إِلَى

ٱلْبَيْتِ شَعَرَتْ كَأَنَّ حِمْلاً ثَقِيلاً نَزَلَ
عَنْ كَتِفِهَا وَقَلْبِهَا

الفصل الرابع

المخدة المطرزة

لَمَّا وَصَلَتْ جَلِيلَةُ إِلَى ٱلْبَيْتِ وَجَدَتْ أُمَّهَا مُنْهَمِكَةً فِي ٱلشُّغْلِ تُجَهِّزُ ٱلْعَشَاءَ. وَلِكَيْ تُسَاعِدَ جَلِيلَةُ أُمَّهَا حَمَلَتْ أَخَاهَا ٱلصَّغِيرَ. أَمَّا أُخْتُهَا ٱلْكُبْرَى فَكَانَتْ تَخِيطُ فُسْطَانًا بَنِّيَّ ٱللَّوْنِ. فَأَعْجَبَ لَوْنُهُ جَلِيلَةَ إِذْ ظَنَّتْ أَنَّهُ يُنَاسِبُ عَيْنَيْهَا ٱللَّامِعَتَيْنِ وَشَعْرَهَا ٱلطَّوِيلَ ٱلَّذِي كَانَتْ مُعْجَبَةً بِهِ

ثُمَّ سَأَلَتْ أُخْتَهَا عَمَّا إِذَا كَانَتْ عَازِمَةً أَنْ تَعْمَلَ لَهَا فُسْطَانًا مِثْلَهُ. فَأَجَابَتْهَا بِكُلِّ غَضَبٍ:

«لَا. غَيْرُ مُمْكِنٍ أَبَدًا لِأَنَّكِ أَنْتِ تَذْهَبِينَ إِلَى ٱلْمَدْرَسَةِ وَتَسْمَعِينَ ٱلْحِكَايَاتِ ٱلْحُلْوَةَ وَأَنَا مَحْبُوسَةٌ فِي ٱلْبَيْتِ طُولَ ٱلنَّهَارِ»

وَلَمَّا سَمِعَتْ جَلِيلَةُ هٰذَا ٱلْكَلَامَ كَانَتْ عَلَى وَشْكِ ٱلْغَضَبِ وَٱلْحِدَّةِ. لٰكِنَّهَا تَذَكَّرَتْ كَلَامَ ٱلْمُعَلِّمَةِ وَقَالَتْ:

«يَارَبُّ سَاعِدْنِي». فَلَمْ تَغْضَبْ بَلْ كَلَّمَتْ
أُخْتَهَا بِكُلِّ لُطْفٍ وَقَالَتْ بَعْدَ أَنْ نَامَ
أَخُوهَا «اسْمَحِي لِي أَنْ أُسَاعِدَكِ فِي
سَحْبِ خَيْطِ السِّرَاجَةِ عَلَى الْأَقَلِّ».
وَبِهَذَا الْكَلَامِ مَالَ قَلْبُ أُخْتِهَا إِلَيْهَا
وَزَادَتْ مَحَبَّتُهُمَا لِبَعْضٍ

وَهَكَذَا يَوْماً بَعْدَ يَوْمٍ كَانَتْ جَلِيلَةُ
تَتَقَدَّمُ فِي الْأَخْلَاقِ الْجَيِّدَةِ. إِلَّا أَنَّهَا لَمْ
تَخْلُ مِنَ الْعَثْرَةِ وَالسُّقُوطِ فِي الْخَطِيَّةِ
وَكَانَ عِنْدَ وَالِدَةِ جَلِيلَةَ أَثَاثٌ جَمِيلٌ

جِدًّا. وَفِي حُجْرَةِ الْجُلُوسِ كَنَبَةٌ وَسِتَّةُ
كَرَاسِيَّ بِقَطِيفَةٍ حَمْرَاءَ مُذَهَّبَةٍ وَمَائِدَةٌ
مِنْ رُخَامٍ وَبَارُوهٌ مَنْقُوشٌ بِمِرْآةٍ كَبِيرَةٍ.
وَعَلَى الْأَرْضِ سَجَّادَةٌ أَعْجَمِيَّةٌ مُشَجَّرَةٌ
بِأَلْوَانٍ مُخْتَلِفَةٍ. وَكَانَ يُوجَدُ ثَلَاثُ
مَخَدَّاتٍ مِنْ أَطْلَسَ مُطَرَّزَةٌ بِحَرِيرٍ.
الْوَاحِدَةُ لَوْنُهَا بُنِّيٌّ وَالثَّانِيَةُ لَبَنِيَّةٌ
وَالثَّالِثَةُ بَيْضَاءُ. وَهَذِهِ الْمَخَدَّاتُ طَرَّزَتْهَا
أُمُّ جَلِيلَةَ لَمَّا كَانَتْ صَغِيرَةً مِثْلَهَا
وَكَانَتْ هَذِهِ الْحُجْرَةُ مَقْفُولَةً دَائِماً

ولا تفتح إلا إذا جاء زائرون. وكانت
الكراسي والكنبة مغطاة بقماش أبيض
كي تبقى نظيفة

وفي ذات يوم ذهبت أم جليلة مع
بعض الجيران إلى الجبانة وذهبت
معها ابنتها الكبيرة فاطمة. وأمرت جليلة
أن تعود إلى البيت بعد انصراف
المدرسة حالاً وتجهز العشاء. فأجابت
جليلة بكل رضى «سمعاً وطاعة يا أمي»
وذهبت إلى المدرسة مسرورة

ولما رجعت إلى البيت عند الغروب
لم تكن أمها قد رجعت بعد. فدارت
في المنزل وهي متحيرة ماذا تعمل.
ولما شعرت بالجوع أخذت خبزاً
وزيتوناً وأكلت. وبعد برهة خطرت
في بالها المخدات التي عملتها والدتها.
وأحبت أن تراها لأن المعلمة قالت
لها إنها تحب أن تعلمها كيف تطرز
مخدة جميلة. وكانت جليلة تحسب
أن شغل أمها لم يكن جيداً وأنها

قَادِرَةٌ أَنْ تَعْمَلَ أَحْسَنَ مِنْهُ

ثُمَّ خَطَرَ فِي بَالِهَا أَنْ تَذْهَبَ إِلَى
حُجْرَةِ ٱلْجُلُوسِ لِتَتَفَرَّجَ عَلَى
ٱلْمَخَدَّاتِ. فَدَخَلَتْ ٱلْحُجْرَةَ وَفَتَحَتِ
ٱلشِّيشَ لِيَدْخُلَ ٱلنُّورُ وَلِتَرَى ٱلشُّغْلَ
جَيِّداً. وَبَعْدَ قَلِيلٍ عَطِشَتْ فَخَرَجَتْ
إِلَى حَيْثُ ٱلْقُلَلُ وَأَخَذَتْ قُلَّةً دَاخِلَ
ٱلْحُجْرَةِ وَشَرِبَتْ مِنْهَا. ثُمَّ وَضَعَتْهَا
عَلَى ٱلشُّبَّاكِ بِسُرْعَةٍ وَلَمَّا لَمْ تَضَعْهَا
تَمَاماً سَقَطَتِ ٱلْقُلَّةُ وَٱنْكَبَّ ٱلْمَاءُ عَلَى

مَخَدَّةِ ٱلْحَرِيرِ ٱلْبُنِّيِّ وَعَلَى ٱلْكَنَبَةِ
أَيْضاً. وَلَمَّا رَفَعَتِ ٱلْغِطَاءَ ٱلْأَبْيَضَ رَأَتْ أَنَّ
ٱلْأَلْوَانَ ٱلْحَمْرَاءَ وَٱلذَّهَبِيَّةَ بَهَتَتْ عَلَى
ٱلْأَطْلَسِ وَأَتْلَفَتِ ٱلْمَخَدَّةَ

وَلَمْ تَقِفِ ٱلْحَالُ عِنْدَ هَذَا ٱلْحَدِّ بَلْ
زَادَ ٱلطِّينَ بَلَّةً أَنَّ أَصَابِعَهَا عَلَّمَتْ عَلَى
ٱلْأَطْلَسِ وَٱلْأَلْوَانَ حَلَّتْ عَلَى بَعْضِهَا.
إِذْ لَمْ يَخْطُرْ بِبَالِهَا أَنَّهَا كَانَتْ تَأْكُلُ
زَيْتُوناً فَمَسَكَتِ ٱلْمَخَدَّةَ لِتَتَفَحَّصَهَا
فَأَتْلَفَتْهَا. وَمَا كَانَ عِنْدَهَا حِيلَةٌ إِلَّا أَنْ

«سقطت القلة وانكب الماء على مخدة الحرير»

تَجْلِسُ وَتَبْكِي بُكَاءً مُرًّا. وَقَالَتْ
«مَاذَا أَعْمَلُ؟ أُمِّي قَالَتْ لِي مِرَارًا
لَا تَلْعَبِي فِي حُجْرَةِ الْجُلُوسِ وَهَا أَنَا
خَسَّرْتُ الْمِخَدَّةَ الْحُلْوَةَ الْعَزِيزَةَ عِنْدَهَا
وَالْكَنَبَةَ أَيْضًا»

وَفَتَّشَتْ عَلَى خِرْقَةٍ نَظِيفَةٍ وَحَاوَلَتْ
أَنْ تُنَشِّفَ الْمَاءَ بِهَا. وَكَانَتْ كُلَّمَا مَرَّتْ
بِالْخِرْقَةِ عَلَى الْبُقَعِ صَارَتْ أَرْدَأَ وَأَخِيرًا
تَرَكَتْهَا. ثُمَّ جَالَ فِي بَالِهَا أَنْ تُخْفِيَ عَنْ
أُمِّهَا مَا حَصَلَ. «يُمْكِنُ أَنْ أَقُولَ إِنَّ

القطة قلبت القلة». ثم قالت «أمي تجيبني
أن الشيش كان مقفولاً وكيف دخلت
القطة؟»

فأرد عليها: وأنا داخلة البيت
ركضت القطة ودخلت قبلما أشوفها
ولم أقدر أن أمنعها. وبعد ذلك نطت
على الشباك وقلبت القلة»

فقامت حليلة في الحال وأقفلت
الشباك وخرجت من الحجرة بكل
اعتناء وأقفلت الباب غير أنها فكرت

بأن كلامها هذا يكون كذباً والمسيح
يكره الكذب ومات لكي يخلصها منه.
وعلى هذا قامت حرب شديدة داخلها
فوقعت في الحيرة. من الجهة الواحدة
خافت أن أمها تغضب عليها وتضربها
ومن الجهة الأخرى أرادت أن تطيع
يسوع المسيح وأن لا تكذب. وعليه
طلبت من المسيح قائلة

«يا سيدنا يسوع. أنا خائفة من أمي
جداً ومرعوبة لأني إن قلت لها إني

أَتْلَفَتُ ٱلْمَخَدَّةَ تَضْرِبُنِي وَتُؤْلِمُنِي
جِدًّا. هَلْ يَلْزَمُ أَنْ أَقُولَ لَهَا أَمْ لَيْسَ
هَذَا ضَرُورِيًّا؟»

وَكَأَنَّ صَوْتاً فِي دَاخِلِهَا كَانَ يَقُولُ
لَهَا «نَعَمْ يَا جَلِيلَةُ وَاجِبٌ أَنْ تَقُولِي
ٱلْحَقَّ كُلَّهُ وَلَا تُخْفِي حَاجَةً مِنْ أُمِّكِ».

وَلَمَّا عَرَفَتْ أُمُّهَا مَا جَرَى غَضِبَتْ
كَثِيراً جِدًّا وَأَرْسَلَتْ جَلِيلَةَ إِلَى فِرَاشِهَا
بِدُونِ أَكْلٍ تِلْكَ ٱللَّيْلَةَ. إِلَّا أَنَّ جَلِيلَةَ
كَانَتْ شَاعِرَةً بِفَرَحٍ لَمْ تَشْعُرْ بِهِ قَبْلاً

لِأَنَّهَا عَرَفَتْ أَنَّ ٱلْمَسِيحَ كَانَ مَسْرُوراً
مِنْهَا وَرَاضِياً عَنْهَا

وَأَخَذَتْ تُفَكِّرُ كَيْفَ تَقْدِرُ أَنْ تُرْضِيَ
وَالِدَتَهَا عَنْهَا وَتُعَوِّضَ عَنِ ٱلْخَسَارَةِ.
ثُمَّ جَالَ فِي بَالِهَا أَنَّ ٱلْمَخَدَّةَ ٱلْمُزْمَعَ
أَنْ تَعْمَلَهَا تَحْتَ مُرَاقَبَةِ ٱلْمُعَلِّمَةِ مَتَى
خَلَصَتْ مِنْهَا تُقَدِّمُهَا هَدِيَّةً لِأُمِّهَا وَبِهَذَا
ٱلْعَمَلِ تَكُونُ قَدْ كَفَّرَتْ قَلِيلاً عَنْ ذَنْبِهَا

الفصل الخامس

استعداد للامتحان

يَوْماً مَا أَخْبَرَت ٱلْمُعَلِّمَةُ ٱلْبَنَاتِ أَنَّ
عَلَيْهِنَّ أَنْ يُقَدِّمْنَ ٱمْتِحَاناً فِي ٱلدُّرُوسِ
ٱلَّتِي تَعَلَّمْنَهَا حَتَّى يُمْكِنَهَا أَنْ تَعْرِفَ مَنْ
هِيَ ٱلنَّاجِحَةُ وَمَنْ هِيَ ٱلسَّاقِطَةُ. حَتَّى
تَنْقُلَ ٱلنَّاجِحَاتِ إِلَى دَرَجَةٍ أَعْلَى
وَٱلسَّاقِطَاتُ يَبْقَيْنَ فِي فَصْلِهِنَّ. فَكَانَ
لِهَذَا ٱلْخَبَرِ تَأْثِيرٌ عَظِيمٌ بَيْنَ ٱلْبَنَاتِ إِذْ
حَرَّكَ غَيْرَتَهُنَّ لِلْمُذَاكَرَةِ. وَصَارَ

مَوْضُوعَ حَدِيثِهِنَّ وَقْتَ ٱللَّعِبِ.
فَكَانَتْ جَلِيلَةُ مِنَ ٱلْمُجْتَهِدَاتِ وَكَانَتْ
تَحْضُرُ إِلَى ٱلْمَدْرَسَةِ يَوْمِيًّا بَاكِراً جِدًّا.
وَكَانَتْ تُذَاكِرُ دُرُوسَهَا مَعَ بَعْضِ
ٱلرَّفِيقَاتِ وَلَا تُضَيِّعُ دَقِيقَةً مِنْ وَقْتِهَا
فِي ٱللَّعِبِ. وَلَمَّا ٱشْتَدَّ ٱلْبَرْدُ وَقَصُرَتِ
ٱلْأَيَّامُ كَانَتْ تَقُومُ فِي ٱلظَّلَامِ وَتَشْعُرُ
بِٱلْبَرْدِ فَتَقُولُ فِي نَفْسِهَا «مَا ٱلْفَائِدَةُ مِنْ
كُلِّ هَذَا ٱلتَّعَبِ؟»
وَٱلَّذِي أَضْعَفَ هِمَّتَهَا هُوَ أَنَّهَا رَأَتْ

بَعْضَ رَفِيقَاتِهَا فِي ٱلصَّفِّ أَحْسَنَ مِنْهَا
وَلَاسِيَّمَا عَائِشَةَ وَمَرْيَمَ مَعَ أَنَّهُمَا مَا
كَانَتَا تَحْضُرَانِ بَاكِراً مِثْلَهَا

ذَاتَ يَوْمٍ كُنَّ يَتَكَلَّمْنَ فِي رَدْهَةِ
ٱللَّعِبِ فَسَأَلَتْ عَائِشَةَ «مَتَى تُحَضِّرِينَ
دُرُوسَكِ وَأَنْتِ دَائِماً عِنْدَكِ وَقْتٌ
لِلَّعِبِ وَتَأْخُذِينَ دَائِماً عَلَامَاتٍ أَحْسَنَ
مِنِّي فِي ٱلْحِسَابِ مَعَ أَنِّي مُجْتَهِدَةٌ جِدًّا؟»

فَضَحِكَتْ عَائِشَةُ وَقَالَتْ «لَسْتُ أَنَا
ٱلَّتِي أَعْمَلُ مَسَائِلِي بَلْ يَعْمَلُهَا لِي أَخِي

ٱلْكَبِيرُ ٱلَّذِي فِي مَدْرَسَةِ ٱلْمِيرِي. أَنَا
فَقَطْ أَنْسَخُهَا بِخَطِّ يَدِي وَٱلْمُعَلِّمَةُ
تَحْسَبُ أَنَّ ذَا شُغْلِي أَنَا وَتُعْطِينِي عَلَامَةً
حَسَنَةً وَبِهَذِهِ ٱلطَّرِيقَةِ عِنْدِي وَقْتٌ
كَثِيرٌ لِلَّعِبِ»

ثُمَّ سَأَلَتْهَا جَلِيلَةُ ثَانِيَةً «وَمَاذَا تَعْمَلِينَ
يَوْمَ ٱلْامْتِحَانِ فِي حَلِّ ٱلْمَسَائِلِ
وَأَخُوكِ يَكُونُ بَعِيداً عَنْكِ وَغَيْرُ مُمْكِنٍ
أَنْ تَصِلِي إِلَيْهِ؟»

أَجَابَتْهَا عَائِشَةُ «يُوجَدُ وَقْتٌ كَافٍ لَنَا

قَبْلَ حُلُولِ يَوْمِ ٱلْامْتِحَانِ. وَإِنْ كَانَ
يُوجَدُ لُزُومٌ فَأَجْتَهِدُ فِي ٱلْمُذَاكَرَةِ قَبْلَهُ
بِأُسْبُوعَيْنِ وَلٰكِنْ أَنَا لَا أُرِيدُ ٱلْآنَ أَنْ
أُتْعِبَ رَأْسِي»

بَعْدَ قَلِيلٍ دَعَتْ عَائِشَةُ إِحْدَى
ٱلْبَنَاتِ لِتَنُطَّ مَعَهَا ٱلْحَبْلَ فَذَهَبَتْ
وَبَقِيَتْ جَلِيلَةُ وَحْدَهَا وَقَالَتْ فِي بَالِهَا
«لَيْتَ لِي أَخًا يُسَاعِدُنِي فِي حَلِّ
مَسَائِلِ ٱلْحِسَابِ مِثْلَ عَائِشَةَ» ثُمَّ عَادَتْ
وَفَكَّرَتْ بِأَنَّ ذٰلِكَ يَكُونُ غِشًّا وَأَنَّ

ٱلْمَسِيحَ ٱلَّذِي يُحِبُّهَا يَكْرَهُ ٱلْغِشَّ. وَظَلَّتْ
تَجْتَهِدُ فِي دُرُوسِهَا رَغْمًا مِنَ ٱلصُّعُوبَاتِ
ٱلَّتِي كَانَتْ تَعْتَرِضُهَا

ذَاتَ يَوْمٍ جَاءَتْ إِلَيْهَا مَرْيَمُ وَعَرَضَتْ
عَلَيْهَا ٱلْمُسَاعَدَةَ فِي حَلِّ ٱلْحِسَابِ لِأَنَّ
ٱلْمُعَلِّمَةَ أَمَرَتْ جَلِيلَةَ أَنْ تُرَاجِعَ ٱلْمَسَائِلَ
وَقْتَ ٱللَّعِبِ لِأَنَّهَا كُلَّهَا غَلَطٌ. فَقَالَتْ لَهَا
مَرْيَمُ «هَا أَنَا مُسْتَعِدَّةٌ أَنْ أُسَاعِدَكِ
وَأُعْطِيَ لَكِ حِسْبِي ٱلَّتِي هِيَ صَحِيحَةٌ
كُلُّهَا فَٱنْسَخِيهَا فِي كُرَّاسِكِ وَبَعْدَ ذٰلِكَ

أَقُولُ لَكِ كَيْفَ تَحُلِّينَهَا بِسُهُولَةٍ»

أَجَابَتْ جَلِيلَةُ: «أَشْكُرُكِ». وَأَخَذَتْ
تَنْسَخُ ٱلْحِسَابَ مِنْ كُرَّاسِ مَرْيَمَ وَلَمْ
يَخْطُرْ بِبَالِهَا أَنَّ ذَلِكَ عَيْبٌ

وَلَمَّا قَدَّمَتِ ٱلْكُرَّاسَ لِلْمُعَلِّمَةِ قَالَتْ
لَهَا «حَسَناً جِدًّا يَا جَلِيلَةُ. لِمَاذَا لَمْ تَحُلِّيهَا
مِنْ أَوَّلِ مَرَّةٍ؟» أَمَّا جَلِيلَةُ فَلَمْ تَشْعُرْ بِفَرَحٍ
لِأَنَّهَا فِي تِلْكَ ٱلدَّقِيقَةِ عَرَفَتْ أَنَّهَا
أَخْطَأَتْ. وَلَمَّا وَضَّحَتْ لَهَا مَرْيَمُ طَرِيقَتَهَا
ٱلسَّهْلَةَ لِحَلِّ ٱلْحِسَابِ وَهِيَ أَنْ تَنْسَخَ

ٱلْحِسَابَ ٱلْمَحْلُولَةَ مِنْ كُرَّاسِ عَائِشَةَ لَمْ
تَرْضَ بِهَذَا ٱلْعَمَلِ. وَلَمْ يَرْتَحْ بَالُهَا بَعْدُ
هَذَا بَلِ ٱزْدَادَتْ تَعَاسَةً وَشَقَاءً حَتَّى
عَزَمَتْ أَخِيراً أَنْ تَذْهَبَ إِلَى ٱلْمُعَلِّمَةِ
وَتُخْبِرَهَا أَنَّهَا قَدْ نَسَخَتِ ٱلْمَسَائِلَ وَلَمْ
تَحُلَّهَا بِنَفْسِهَا وَأَنَّهَا مُتَأَسِّفَةٌ وَنَادِمَةٌ عَلَى
مَا فَعَلَتْ

وَلَمَّا سَمِعَتِ ٱلْمُعَلِّمَةُ ٱلْحِكَايَةَ سُرَّتْ
مِنْهَا إِذْ أَخْبَرَتْهَا ٱلْحَقِيقَةَ وَأَنَّهَا تَائِبَةٌ
وَعَلَيْهِ لَمْ تُعَاقِبْهَا. وَصَلَّتْ مَعَهَا طَالِبَةً

الْمَغْفِرَةَ مِنْ يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَمُسَاعَدَتَهُ
حَتَّى لاَ تَسْقُطَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْغَلْطَةِ
مَرَّةً ثَانِيَةً

وَظَلَّتْ جَلِيلَةُ تَجِدُ مَصَاعِبَ فِي
إِعْدَادِ الدُّرُوسِ لِلامْتِحَانَاتِ. أَوَّلاً مِنَ
الْقِيَامِ فِي الْعَتْمَةِ وَالْخُرُوجِ فِي الْبَرْدِ
بَاكِراً عَدَا مَا كَانَ عَلَيْهَا مِنَ الْوَاجِبَاتِ
الْبَيْتِيَّةِ إِذْ كَانَتْ مِرَاراً كَثِيرَةً تَكْنُسُ
الْحُوشَ وَتَمْلأُ الْقُلَلَ وَتَقْضِي بَعْضَ
اللَّوَازِمِ لِوَالِدَتِهَا خَارِجَ الْمَنْزِلِ. وَكَانَ

كُلُّ ذَلِكَ عَلَيْهَا قَبْلَ الذَّهَابِ إِلَى
الْمَدْرَسَةِ. وَفِي الْمَسَاءِ كَانَتْ مُضْطَرَّةً
أَنْ تُلاَعِبَ أَخَاهَا الصَّغِيرَ فَمَا كَانَ لَهَا
وَقْتٌ كَافٍ لِتُذَاكِرَ دُرُوسَهَا جَيِّداً.
مَعَ ذَلِكَ ظَلَّتْ جَلِيلَةُ تَجْتَهِدُ وَتُقَاوِمُ
الصُّعُوبَاتِ حَتَّى نَجَحَتْ فِي الْحِسَابِ
وَسُرَّتْ مِنْهَا الْمُعَلِّمَةُ

كانت مراراً كثيرة تملأ القلل قبل الذهاب الى المدرسة

الفصل السادس

نتيجة الامتحان

وَلَمَّا جَاءَتْ سَاعَةُ ٱلْاِمْتِحَانِ فِي ٱلْحِسَابِ خَافَتْ جَلِيلَةُ أَنْ يَكُونَ أَصْعَبَ مِمَّا تَقْدِرُ عَلَى حَلِّهِ. وَلٰكِنَّهَا لَمَّا قَرَأَتِ ٱلْأَسْئِلَةَ وَجَدَتْهَا أَسْهَلَ مِمَّا كَانَتْ تَنْتَظِرُ. وَإِذْ كَانَتْ قَرِيبَةً مِنْ مَرْيَمَ رَأَتْهَا مُرْتَبِكَةً وَبَعْدَ قَلِيلٍ وَجَدَتْهَا تَكْتُبُ بِكُلِّ سُرْعَةٍ فَقَالَتْ فِي نَفْسِهَا هَلْ مَرْيَمُ كَانَتْ تَتَعَلَّمُ حَلَّ ٱلْحِسَابِ وَٱلْآنَ

تحلها بسرعة!»

وفي اليوم التالي كان امتحان الجغرافية وكانت جميع البنات مشغولات في الكتابة. وبغتة قالت المعلمة

«توقفن يا بنات عن الكتابة. ماذا عندك تحت المكتب يا عائشة؟»

فخجلت عائشة كثيراً وحاولت أن تخفي ما كان في يدها. ولأن المعلمة أصرت على أن ترى ما كان مخبوءاً

تحت فوطتها فأخرجت كتاب الجغرافية الذي كانت قد خبأته تحت الفوطة بقصد أن تنسخ منه أجوبة الأسئلة. ثم قالت المعلمة بصوت حزين

«ضروري أن تخرجي من الفرقة يا عائشة وتخسري كل علاماتك»

فبكت عائشة وترجت المعلمة أن تسامحها لأنها عرفت أن سقوطها في الامتحان يجعلها أن لا تنقل إلى الصف

الأعلى مع بقية البنات في السنة المقبلة.

وأما المعلمة فقالت «إن قصاصك هو نتيجة غشك يا عائشة وليس نتيجة زعلي»

ثم التفتت المعلمة إلى البنات وقالت «أسرعن في الكتابة قبل أن يمضي الوقت»

ولما خرجت البنات إلى ساحة اللعب أظهرن حزنهن على حالة عائشة. وأردن أن يساعدنها إن أمكن خوفا

من أن أباها يغضب عليها إذا سقطت في الامتحان. ثم قالت إحدى البنات الكبيرات

«المعلمة لا ترضى أن تعطي عائشة علامات جيدة لكن يمكن أنها تقبل أن تمتحنها ثانية بأسئلة جديدة»

فأجابت جليلة: «أنا لا أظن هكذا ولكن على كل حال نسأل الرئيسة»

ولما سألت البنات الرئيسة كانت حزينة جدا من غش عائشة إلا أنها

إكراماً لخاطر البنات وعدت أن تعطيها
فرصة أخرى. أما عائشة فلم يسرها
هذا الخبر لأنها كانت تخشى أن لا
تعرف الأسئلة لتجاوب عليها وهكذا
كان لما أعطتها المعلمة أسئلة جديدة
فإنها لم تقدر أن تجيب عليها فكانت
علاماتها واطئة جداً فسقطت في
الامتحان. وغضب والد عائشة عليها
جداً ولم يرض أن يعطيها الجلابية
الجديدة التي وعدها بها يوم تفريق

الجوائز ولذلك وجدت عائشة أن
قصاصها على الكسل كان عظيماً

ولما صححت المعلمة أوراق
الامتحان وجدت أن أوراق مريم
ومنيرة مثل بعضها حيث أصابت مريم
أصابت منيرة وحيث أخطأت مريم
أخطأت منيرة. فدعتهما إلى حجرتها
وأخبرتهما بما رأت فسألت مريم :-
«لماذا أوراقك مثل أوراق منيرة
بالتمام؟» فأجابتها: «لا أعلم» ثم سألت

نَفْسَ السُّؤَالِ لِمُنِيرَةَ وَكَانَ جَوَابُهَا
أَيْضًا «أَنَا لَا أَعْلَمُ»

وَقَالَتِ الْمُعَلِّمَةُ «أَنَا مُتَأَسِّفَةٌ يَا مَرْيَمُ
لِأَنَّكِ لَا تَقُولِينَ الصِّدْقَ وَلِأَنَّ طَرِيقَةَ
عَمَلِيَّةِ الْحِسَابِ الَّتِي لَكِ هِيَ غَلَطٌ.
لَكِنَّ الْأَجْوِبَةَ صَحِيحَةٌ. أَيْنَ كُنْتِ
قَاعِدَةً وَقْتَ الْامْتِحَانِ؟ أَلَسْتِ كُنْتِ
وَرَاءَ مُنِيرَةَ؟ عَلَى هَذَا نَقَلْتِ جَوَابَاتِكِ
مِنْهَا وَلِذَلِكَ لَمْ تَنْجَحِي فِي الْامْتِحَانِ
لَكِنْ سَقَطْتِ

وَلَمَّا جَاءَ مِيعَادُ قِرَاءَةِ نُمَرِ الْامْتِحَانِ
وَانْتِقَالِ الْبَنَاتِ النَّاجِحَاتِ إِلَى صُفُوفٍ
أَعْلَى كَانَتْ جَلِيلَةُ قَلِقَةً جِدًّا وَمُشْتَاقَةً
أَنْ تَعْرِفَ إِذَا كَانَتْ مِنَ النَّاجِحَاتِ
وَأَنَّهَا سَتَنْتَقِلُ إِلَى صَفٍّ أَعْلَى. فَدُعِيَ
كُلُّ الْبَنَاتِ وَهُنَّ لَابِسَاتٌ مَلَابِسَهُنَّ
الْجَدِيدَةَ الْجَمِيلَةَ وَجَلَسْنَ فِي قَاعَةِ
الْمَدْرَسَةِ لِيَسْمَعْنَ نَتِيجَةَ الْامْتِحَانِ
فَكَمْ كَانَ حُزْنُ مَرْيَمَ وَمُنِيرَةَ عَظِيمًا
عِنْدَمَا قَرَأَتِ الْمُعَلِّمَةُ نُمَرَهُمَا وَفَهِمَتَا

مِنْهَا أَنَّهُمَا سَاقِطَتَانِ وَبَاقِيَتَانِ فِي نَفْسِ ٱلْفِرْقَةِ ٱلَّتِي كَانَتَا فِيهَا قَبْلاً فَنَدِمَتَا عَلَى أَنَّهُمَا ٱتَّبَعَتَا ٱلْغِشَّ وَقَالَتَا يَا لَيْتَنَا مَا غَشَشْنَا.

أَمَّا جَلِيلَةُ فَفَرَغَ صَبْرُهَا مِنْ طُولِ ٱلْٱنْتِظَارِ وَكَانَتْ تَخْشَى أَنَّ ٱلْمُعَلِّمَةَ لَا تَأْتِي عَلَى ٱسْمِهَا أَبَداً وَأَخِيراً ذَكَرَتِ ٱلْمُعَلِّمَةُ ٱسْمَ جَلِيلَةَ وَمَدَحَتْهَا لِأَنَّهَا نَجَحَتْ فِي كُلِّ ٱلدُّرُوسِ وَحَصَلَتْ عَلَى ٱلنِّمَرِ ٱلْمَطْلُوبَةِ فَصَفَّقَتِ ٱلْبَنَاتُ مُظْهِرَاتٍ سُرُورَهُنَّ عَلَى نَجَاحِ جَلِيلَةَ

وَقَالَتْ لَهَا ٱلْمُعَلِّمَةُ: أُهَنِّئُكِ يَا جَلِيلَةُ عَلَى نَجَاحِكِ فَإِنَّكِ قَدْ جَنَيْتِ ثَمَرَ تَعَبِكِ وَلَا سِيَّمَا فِي ٱلدُّرُوسِ ٱلَّتِي كَانَتْ صَعْبَةً جِدًّا عَلَيْكِ. فَفِي تِلْكَ ٱللَّيْلَةِ لَمَّا ذَهَبَتْ جَلِيلَةُ إِلَى فِرَاشِهَا رَكَعَتْ عَلَى رُكْبَتَيْهَا وَشَكَرَتِ ٱلْمَسِيحَ لِأَنَّهُ وَقَفَ بِجَانِبِهَا وَحَفِظَهَا مِنَ ٱلْغِشِّ وَأَعْطَاهَا قُوَّةً حَتَّى لَمْ تَيْأَسْ مِنَ ٱلدُّرُوسِ بَلْ وَاظَبَتْ بِكُلِّ أَنَاةٍ فَنَجَحَتْ نَجَاحاً بَاهِراً

الفصل السابع

بعد انقضاء الدراسة

وَلَمَّا بَلَغَتْ جَلِيلَةُ ٱلثَّالِثَةَ عَشْرَةَ مِنَ
ٱلْعُمْرِ أَمَرَهَا وَالِدُهَا بِأَنْ لَا تَذْهَبَ إِلَى
ٱلْمَدْرَسَةِ بَعْدَ ذَلِكَ. لِأَنَّهُ كَانَ يُفَكِّرُ
فِي تَزْوِيجِهَا وَلِذَلِكَ يَجِبُ أَنْ تَبْقَى فِي
ٱلْمَنْزِلِ فَقَدْ كَانَتِ ٱلْفِكْرَةُ ٱلْعَامَّةُ أَنَّهُ مِنَ

ٱلْعَارِ أَنْ تَخْرُجَ مَكْشُوفَةَ ٱلْوَجْهِ وَهِيَ
مَخْطُوبَةٌ

فَأَلَحَّتْ جَلِيلَةُ عَلَيْهِمْ لِيَسْمَحُوا لَهَا
بِٱلْبَقَاءِ فِي ٱلْمَدْرَسَةِ إِلَى آخِرِ ٱلسَّنَةِ
عَلَى ٱلْأَقَلِّ. وَلَكِنْ لَا. فَإِنَّ أَبَاهَا كَانَ
قَدْ صَمَّمَ عَلَى رَأْيِهِ. وَهَكَذَا جَمَعَتْ
جَلِيلَةُ كُلَّ كُتُبِهَا وَوَدَّعَتْ مُعَلِّمَاتِهَا
وَصَدِيقَاتِهَا بِحُزْنٍ شَدِيدٍ

وَبِذَلِكَ غَيَّرَتْ كُلَّ أَحْوَالِ مَعِيشَتِهَا
فَبَدَلًا مِنَ ٱلْوَقْتِ ٱلْمُفْرِحِ ٱلَّذِي كَانَتْ

تَصْرِفُهُ فِي ٱلدَّرْسِ وَٱللَّعِبِ وَجَبَ عَلَيْهَا
ٱلْآنَ أَنْ تَبْقَى فِي ٱلْمَنْزِلِ وَتَعْمَلَ شُغْلَ
وَالِدَتِهَا وَبَعْدَ ذَلِكَ تَجْلِسُ بِدُونِ عَمَلٍ
حَتَّى تَصِيرَ حَسَنَةَ ٱلطَّلْعَةِ وَسَمِينَةَ
ٱلْجِسْمِ فَتُصْبِحَ جَمِيلَةً مَتَى صَارَتْ
عَرُوساً. وَعِلَاوَةً عَلَى ذَلِكَ كَانَتْ
أُمُّهَا تُعْطِيهَا أَكْلاً خُصُوصِيًّا لِتُسَمِّنَهَا

وَبَدَأَ ٱلْجِيرَانُ وَٱلْأَصْحَابُ يَتَحَدَّثُونَ
عَنِ ٱلْمَلَابِسِ وَٱلْحُلِيِّ ٱلَّتِي سَوْفَ
تَكُونُ لَهَا

وَقَدْ كَانَ لَهَا ثَلَاثَةُ خُطَّابٍ وَلَكِنْ
قَرَّرَ أَبُوهَا أَخِيراً أَنْ يُزَوِّجَهَا مِنْ رَجُلٍ
مُتَقَدِّمٍ فِي ٱلسِّنِّ كَانَ وَالِدُ جَلِيلَةَ
مَدْيُوناً لَهُ وَكَانَ هَذَا ٱلرَّجُلُ قَدْ طَلَّقَ
ثَلَاثَ نِسَاءٍ مِنْ قَبْلُ. وَكَانَتْ جَلِيلَةٌ تَعْلَمُ
أَنَّ ٱلْأَخِيرَةَ ٱلَّتِي طَلَّقَهَا أَخَذَ مِنْهَا أَطْفَالَهَا
ٱلثَّلَاثَةَ عَلَى ٱلرَّغْمِ مِنْهَا. وَكَانَتْ أَيْضاً
تَسْمَعُ ٱلْجِيرَانَ يَقُولُونَ إِنَّ تِلْكَ ٱلْأُمَّ
ٱلْمِسْكِينَةَ كَادَتْ تُجَنُّ لِفِرَاقِ أَطْفَالِهَا
وَلَمْ تَرْغَبْ جَلِيلَةُ أَنْ تَتَزَوَّجَهُ ٱلْبَتَّةَ

لأَنَّهَا فَكَّرَتْ فِي نَفْسِهَا وَقَالَتْ لِأَبِيهَا :
« كَمَا تَضَايَقَ مِنْ نِسَائِهِ ٱلسَّابِقَاتِ بَعْدَ
أَنْ أَرْضَى غَايَاتِهِ هٰكَذَا سَيَتَضَايَقُ مِنِّي
حَتْماً فَمَاذَا أَعْمَلُ وَٱلْحَالُ هٰذِهِ ؟ »

وَلٰكِنَّ أَبَاهَا قَالَ « لَا فَإِنَّ أَحْمَدَ
أَفَنْدِي غَداً يُعْطِي جَلِيلَةَ عِشْرِينَ
جُنَيْهاً مَهْراً وَبَعْدَ مَا يَتَزَوَّجُهَا لَا يَطْلُبُ
مِنِّي ٱلْخَمْسِينَ جُنَيْهاً ٱلَّتِي لَهُ عَلَيَّ »

وَلَمَّا قَالَتْ أُمُّ جَلِيلَةَ بِصَوْتٍ حَزِينٍ
مُنْخَفِضٍ إِنَّهَا خَائِفَةٌ أَنْ تُعَامَلَ ٱبْنَتُهَا

بِٱلْقَسْوَةِ أَجَابُوهَا بِجَوَابِهِمُ ٱلْعَادِيِّ
« عَلَى ٱللّٰهِ . هٰذِهِ قِسْمَتُهَا . وَمَنْ يَقْدِرُ أَنْ
يُغَيِّرَ ٱلْقِسْمَةَ ؟ »

وَكَانَتْ جَلِيلَةُ وَقْتَئِذٍ غَضْباً عَنْهَا
تُشْغَلُ فِكْرَهَا بِأَمْرِ ٱلْمَلَابِسِ وَٱلْحُلِيِّ
وَٱسْتِعْدَادَاتِ ٱلْعُرْسِ

أَقْبَلَ أُسْبُوعُ ٱلْعُرْسِ وَصَارَتْ جَلِيلَةُ
مَوْضِعَ ٱهْتِمَامِ ٱلْكُلِّ . وَكَانَتْ تُسَرُّ
بِسَمَاعِ كَلِمَاتِ ٱلتَّمْلِيقِ ٱلَّتِي تُلْقَى عَلَيْهَا .
وَأَحَبَّتِ ٱلْأَثْوَابَ ٱلْجَمِيلَةَ ٱلَّتِي عُمِلَتْ

لَهَا. فَعَلَاوَةً عَلَى ٱلْجَلَالِيبِ ٱلْقُطْنِيَّةِ ٱلْمُكَلَّفَةِ بِٱلشَّرَائِطِ وَٱلدَّنْتِلَّاتِ كَانَ لَهَا ثَوْبٌ أَطْلَسُ وَرْدِيٌّ وَٱثْنَانِ مِنْ حَرِيرٍ ٱلْوَاحِدُ أَبْيَضُ وَٱلثَّانِي أَزْرَقُ

وَهَكَذَا أَقْبَلَ يَوْمُ ٱلْعُرْسِ وَدَخَلَ مَدْعُوُّونَ كَثِيرُونَ وَجَلِيلَةُ جَالِسَةٌ فِي وَسْطِ ٱلْحُجْرَةِ. فَٱسْتَصْعَبَتْ جُلُوسَهَا سَاكِتَةً مُقْفَلَةَ ٱلْعَيْنَيْنِ كَمَا يَجِبُ أَنْ تَكُونَ ٱلْعَرُوسُ فَكَانَتْ كُلَّ هُنَيْهَةٍ تَفْتَحُ عَيْنَيْهَا لِتَرَى مَا يَصْنَعُهُ ٱلضُّيُوفُ